أطفال الخليج
مركز دراسات وبحوث المعوقين
www.gulfkids.com

«كان يا مكان في دنيا الصحة والأمان»

حكايات وقصص من طفل إلى طفل (١٤)

أبطال الكوليرا!

(حماية الأطفال)

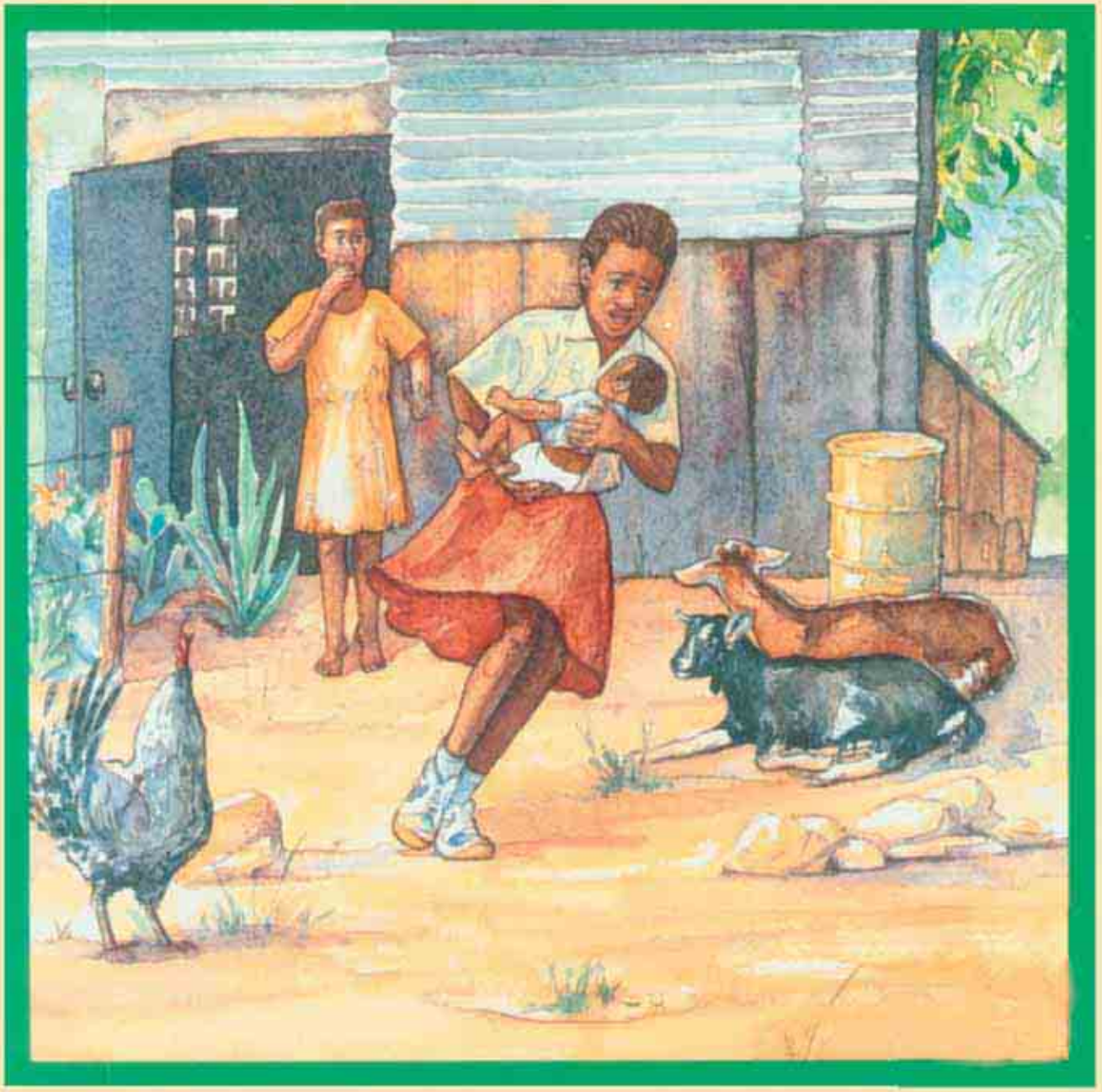

ورشة الموارد العربية

التدخين وعادات سيئة

راجعوا أيضاً الأنشطة في نهاية القصة.

حكايات وقصص من طفل إلى طفل

١ – مغامرات موسى في النهر (نافد): مخاطر المياه القذرة والمياه الراكدة

٢ – أخي الصغير يمشي: طفل يعلم أخاه ويساهم في نموه

٣ – الشجعان الثلاثة: ثلاثة أطفال معوقين يساعدهم أصدقاءهم على التكيف

٤ – هزيمة العصابة (نافد): دور التطعيم في حماية الأطفال من الأمراض والموت

٥ – المرشدة نور (نافد): مخاطر الالتهاب الرئوي والحمى

٦ – شراب الحياة: قصة عن الإسهال والجفاف ودور الشراب البسيط في الحماية منهما

٧ – الفيلان الخمسة: خطر الذباب

٨ – حارس المرمى: أهمية الغذاء الجيد

٩ – الملك العجوز وخطيبة ابنه الصغيرة: تغذية الرضّع

١٠ – فاتن لم تعد حزينة: اللقاحات

١١ – انتقام الأرنب: نظافة الآبار

١٢ – متاعب الست سرحانة: التربية الجنسية

١٣ – جبل الأقزام: نقص اليود

١٤ – أبطال الكوليرا: دور الأطفال في مواجهة الكوليرا

١٥ – العائلة هاها: الحوادث المنزلية

١٦ – الشاب والتنين: الديدان الطفيلية

١٧ – العم جميل والصغيرة رانية: حماية الأطفال

١٨ – "يسقط السوس": رعاية الأسنان

١٩ – سارة الذكية: الاسهال والجفاف

٢٠ – هجوم: في بناء الصحة والمحافظة عليها

٢١ – الشعر الأحمر المستعار: القمل

٢٢ – عادات سيئة: حكاية طاهر

٢٣ – الضبع وعينا الدجاجة: الفيتامين أ

٢٤ – حمّى الأسد: ضربة الشمس

Arab Resource Collective, 2007. tel.: (+9611) 742075
E-mail: arcleb@mawared.org, www.mawared.org

«كان يا مكان في دنيا الصحة والأمان»

حكايات وقصص من طفل إلى طفل (١٤)

أبطال الكوليرا!

(حماية الأطفال)

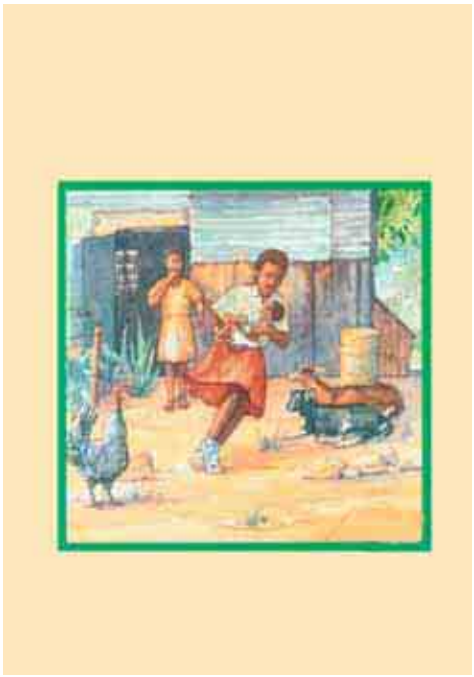

الكاتب: هْيُو هُوْز

الرسوم: مارتن أُورم

ترجمة:

فريق عمل الطبعة العربية: غانم بيبي، دوللي جعلوك، هبه القاضي

التنفيذ الفني: عمر حرقوص

ورشة الموارد العربية

ورشة الموارد العربية، ٢٠٠٧، يمكن تنزيل النص عن الموقع: www.mawared.org

Arab Resource Collective, 2007. tel.: (+9611) 742075

E-mail: arcleb@mawared.org, www.mawared.org

• العم جميل والصغيرة رانية، حماية الأطفال
• الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٧
• الناشر: ورشة الموارد العربية، ص.ب. ٥٩١٦-١٣ (شوران)
بيروت – لبنان، الهاتف: ٧٤٢٠٧٥ (٩٦١١+) الفاكس: ٧٤٢٠٧٧ (٩٦١١+)
البريد الالكتروني: arcleb@mawared.org الموقع: www.mawared.org

• **القصة الأصلية:**

• Uncle George Feeds His Baby: by Hugh Hawes & Donna Bailey, Longman 1995

Published in Arabic by the Arab Resource Collective, ARC
P.O.Box: 13-5916, Tel: (+9611) 742075, Fax: (+9611) 742077
Email: arcleb@mawared.org, Website: www.mawared.org

• حكايات وقصص «من طفل إلى طفل»

تم تطوير سلسلة حكايات وقصص «من طفل إلى طفل» من أجل تشجيع تلامذة المدارس الابتدائية على الاهتمام بصحتهم وصحة الأطفال الآخرين. وضع أساس كل قصة من القصص تربوي مجرّب وراجعها فريق من الأطباء والمتخصصين.

يمكن استخدام هذه القصص في مناهج تدريس مبادئ العلوم والبيئة، والصحة المنزلية والمدرسية، والتدبير المنزلي وبرامج المجتمع.

• من طفل إلى طفل:

يشجّع نهج «من طفل إلى طفل» الأطفال والشباب ويمكّنهم من تعزيز صحتهم وصحة الآخرين من حولهم. المشاركة في أنشطة من طفل إلى طفل تنمّي شخصية الأطفال من النواحي الاجتماعية والعاطفية والأخلاقية والفكرية. نهج من طفل إلى طفل عملية تربوية تربط بين تعلّم الأطفال وبين المبادرة العملية لتعزيز الصحة والرفاه والتنمية لأنفسهم، ولأهلهم ومجتمعاتهم.

يوفر نهج من طفل إلى طفل طريقة عملية تمكّن من تطبيق حقوق الأطفال تطبيقًا فعالاً. «نحن نؤمن بحق الطفل ومسؤوليته في المشاركة وفي الصحة والتعليم كما بحقه في اللعب والترفيه».

• ورشة الموارد العربية:

ورشة الموارد العربية مؤسسة عربية مستقلة لا تتوخى الربح التجاري، هدفها إعداد ونشر وتوزيع المواد التعليمية اللازمة في مشاريع الرعاية الصحية والتربية وتنمية المجتمع والموارد البشرية، وتطوير التواصل بين العاملين في هذه الميادين في البلدان العربية.

أطلب أيضاً:

«كيف تستعمل قصص من طفل إلى طفل» من ورشة الموارد العربية www.mawared.org

الفصل الأول - الأمثولة

صاح مدير المدرسة بصوته المرتفع: «الكوليرا مرضٌ تسبّبه جرثومة تُدعى فيبْريو كوليرا»، وكتب الكلمات هذه على اللوح، فانطلق صرير الطبشورة مزعجاً. «ما سبب الكوليرا يا عبدو؟» سأل بصوتٍ أكثر ارتفاعاً، إذ لمديرنا هذا طريقتان فقط في الكلام، بصوت مرتفعٍ أو بصوتٍ مرتفعٍ جداً.

أجاب عبدو: «جرثومة فيبريو كوليرا». لا يستطيع المدير أن يخدعه بهذه السهولة. صحيحٌ أن تسعين بالمئة من عقله لا يفكر إلا في كرة القدم، لكن العشرة بالمئة الباقية يقظةٌ، مستعدةٌ دوماً للإجابة عن أي سؤال يفاجئه به الأستاذ. كان عبدو صبياً في الثانية عشرة من عمره، وجهه صارم، يعتبر التلميذ الأذكى في الصف. أبوه وأمه مزارعان فقيران. وتعيش عائلته في منطقةٍ مكتظة بالسكان تقع على أطراف المدينة. وبرغم قرب بيتهم من فندقٍ كبيرٍ، لم تكن ماء الشفة تصله، بل يكتفون بماء بئر على بعد ٥٠٠ متر منهم.

تابع المدير: «قد يحتوى بُراز أحدهم على الملايين من هذه الجرثومة، قادرة على الوصول الى داخلى التربة وحتى اختراقها ماء البئر. تصل هذه الجراثيم إلى أيديكم بسهولة.

وتنتقل منها إلى أي وعاء أو صحنٍ أو فاكهة تلمسونهما. يأكل الآخرون من هذه الصحون، أو يتناولون هذه الفاكهة».

«فاكهة...» رفعت مريم نظرها عن طاولتها إذ تذكرت دكان والدها الذي يقع قرب السوق. فقد رأت أنواع الفاكهة والخضار، بعضها مكدّس فوق الآخر على طاولات خارج الدكان... الموز الأصفر اللامع والباذنجان الأرجواني ونبات الفلفل الأخضر البرّاق والطماطم الحمراء بلون النار... أخذت هذه الألوان تدور في رأس مريم وكأنها رسومٌ على فستان. وفي خيالها، صمّمت قماشاً تغطيه رسوم الفاكهة والخضار، لتجعل منه رداء وتلبسه يوم العطلة. سينظر إليها الشبان ويبتسمون. لم تعد مريم تفكر بالكوليرا.

وتابع المدير بصوته المدوّي: «والآن، كيف نكتشف الكوليرا؟»، وكتب السؤال على اللوح. في العادة، عندما يفعل هذا، يعرف التلاميذ أن السؤال نفسه سيُطرح في الامتحان، ولهذا سارعوا إلى تدوينه في دفاترهم. وقال: «سوف أخبركم كيف تعرفونها».

قال عليّ في قلبه: «آمل أن لا يخطئ هذه المرّة. في الأسبوع الماضي، رأت أمي ما قد نقلتُ عن اللوح في موضوع التلقيح والتحصين، وقالت ان أوقات التلقيح الجديدة مختلفةٌ». وعلي هذا صبيٌّ قصير القامة، يضع على عينيه نظارتين كبيرتين، مجتهدٌ ومثابرٌ في الدرس يحبّه التلاميذُ لكنهم يضايقونه. قد تكونون عرفتم ما تعمل والدته. فهي عاملة صحيّة، كانت في عداد فريق يتولى الارشاد الصحيّ في المنطقة، كما زارت أيضاً المدارس لتقدم النصائح.

دوّى صوت المدير قائلاً: «عندما يصاب الناس بمرض الكوليرا ... يسرّبون كما يُسرّب دلو في أسفله ثقبٌ كبيرٌ...». كان كل الأطفال في هذه اللحظة يقظين يصغون بانتباه، فما يقوله المدير مثيرٌ للاهتمام. «...أي يصابون بالإسهال، ويصير برازهم كالماء ذات الرائحة الكريهة، ويخلو من المواد الجامدة والدم فيصابون بالجفاف ويموتون. عادل! هل تجد ما أقوله مضحكاً؟».

«أبداً، سيدي» أجاب عادل وهو ينزع يده من على فمه. وعادل هذا صبيٌّ سمينٌ يجلس في مؤخرة الصف مع اثنين من أصدقائه. وكان والثلاثة لا يحسنون السلوك، حتى عندما يتولى المدير تعليم الدرس. والد عادل رجلٌ ثريٌّ وجيه من وجهاء المجتمع.

فهو يملك فندقاً، وكان عضواً في المجلس البلدي يعرف الجميع ويدير أعمالاً تجاريةً مع الجميع. والكل يتوقع أن يترشح للنيابة في يوم من الأيام. وهو يؤمّن لابنه عادل الكثير من الأشياء، لكنه نادراً ما يراه أو يحادثه.

غمز عادل صديقه وسأل: «عفواً سيدي، أي دواء تستخدم لوقف هذا البراز ... آه، عفوا، هذا الإسهال؟».

نظر المدير إلى عادل نظرة غضب، فلم يكن أكيداً من الجواب.

قال: «لا يوجد دواء منزلي. يجب نقل المرضى سريعاً إلى المستشفى». سنرى لاحقاً في الحكاية أن هذا الجواب صحيح تقريباً. أما عادل فصمت.

«هل يُحتمل أن نواجه الكوليرا في بلدتنا؟» سألت مريم بعد أن استيقظت من حلمها.

أجابها المدير: «كلا يا مريم. لكن يحتمل أن تواجهيه في الامتحان!». ضحك التلاميذ، ثم دق جرس الانصراف فأسرعوا إلى الملعب لينعموا بدفء الشمس.

قال عبدو لصديقه علي: «هذا الرجلُ مذهلٌ. أعتقد أنه لو قام بوصف نهائي كأس العالم في كرة القدم، لكان ذلك مملاً. نحمد الله على وجود النادي الصحّي. سيخبرنا السيّد غازي المزيد عن الكوليرا. فقد قيل لي أن هذا الوباء خطرٌ جداً».

بفضل والدة عليّ، أسست مدارسُ عديدةٌ في المنطقة نواديها الصحيّة. مادة الصحّة تُعلَّمُ من خلال دروس العلوم الطبيعية، لكن حصّتها قصيرة، والأساتذة، كما المدير، مهتمون أكثر بتعليم التلاميذ ما يجعلهم ينجحون في الامتحانات. ومن يلومهم فالامتحانات مهمةٌ جداً. لكن الحال مختلفةٌ في نوادي العمل الصحّي. فالمعلمون الذين نظموا هذه النوادي، كالأستاذ غازي مثلاً، متحمسون جداً، وتلقوا التدريب الخاص. يختار التلاميذ الموضوع الذي يودون معرفته، ويرسمون خطة عملٍ لتنفيذها. أحياناً يعملون على تأليف الأغنيات والمسرحيات وتصميم الملصقات، وهدفهم تقديم المساعدة للمجتمع. قدّمت والدة علي المساعدة والنصح دائماً، وشجعت الأطفال في ما يفعلون، كما أطلقت عليهم لقب «العاملون الصحيّون الصغار».

قال عبدو: «وهل نطلب أن يرشدونا عن مرض الكوليرا في الاجتماع المقبل؟»

فأجابه علي: «أفضّل أن أسأل والدتي أولاً».

لكن عبدو كان قلقاً جداً. فقد ذكر المدير أمراً جعله يخاف. البئر ... ماذا لو كانت مياه البئر ملوثة بجراثيم الكوليرا؟ فالكل يشرب من تلك البئر، ويغتسل من مائها. هل سيموتون جميعاً كما قال المدير؟ أسرع عبدو إلى المنزل ليسأل والده. وعبدو يحب والده ويحترمه، فهو لطيفٌ وحكيم. أجابه والده: «نعم يا عبدو. ما زلت أذكر الكوليرا. قبل خمسةٍ وعشرين عاماً، تفشى هذا الوباء في القرية التي على ضفاف النهر فمات الكثيرون ومنهم أخي. قال الناس حينها أنه تصيب الناس. وقال البعض أن سكان البلدة أشرارٌ يستحقون العقاب. صلينا من أجلهم، لكني قلتُ في نفسي انهم بشرٌ مثلنا، فيهم الصالح وفيهم الشرير؟ فأخي كان صالحاً. يا عبدو، نحن لسنا بمأمنٍ منه، فقد يصيب بلدتنا في أي وقت».

أما والد عادل، فكان له رأيٌ آخر. قال: «إن هذا المرض لا يصيبنا بكل تأكيد». فقد كان هذا الرجل معجباً بنفسه كالديك. بذّته من صنع أفضل خياط في البلدة، وحذاؤه لامعٌ كالمرآة، وربطة عنقه من الحرير البرّاق. أمام الفندق الذي يملكه أعلام مزروعةٌ على جانبي الطريق المؤدي إليه، فثمة وزيرٌ آتٍ لمقابلته في المساء. قال وهو يفرغ زجاجة من العصير في كأسه: «في كل غرفةٍ من غرفِ الفندق مرحاضها المجهّز بدفّاقٍ للماء. وكلها حديثة وصحيّة».

«نعم ...» قال عادل لأصدقائه. «نعم ... شرط إمداد البلدة بالماء. وإلا، يضطر الناس إلى نقل الماء من البئر في الدلاء».

نادت والدة مريم على أمينة، وقالت لها: «اذهبي إلى البئر واملأي هذا الدلو ماءً، لنغسل هذا الخضار. فنريده أن يبدو نضراً ونظيفاً». حملت أمينة الدلو ومضت تفكّر: «لماذا عليّ أن أفعل كل شيء؟ لماذا ترسلني أمي إلى هذا المكان؟ لماذا تذهب مريم إلى المدرسة بينما أبقى أنا لأحمل الدلاء الثقيلة؟»

والدة أمينة فقرة جداً، لا تملك ما يكفيها من طعام. وافق والدا مريم على الاهتمام بها، لكن أبا مريم قال، «عليها أن تساعدني في الدكان». وهكذا، وجدت أمينة نفسها مضطرة لحملِ الطفل أو الدلو. وهي تفضل أن تحمل الطفل. عادت مريم من المدرسة، لكنها لم تخبر أهلها عن درس الكوليرا. فوالدها مشغول في عدّ المال، ووالدتها مشغولةٌ في طهو الطعام. خرجت إلى أمام الدكان فرأت أمينة تغسل الخضار. تساءلت إن كان غسل الخضار يقتل الجراثيم. فهل يقتلها؟

شرحت والدة علي لابنها القليل عن الكوليرا، فقالت له: «إن غسل الفاكهة والخضار بالماء لا يحميها أبداً من الكوليرا، إلا إذا كانت الماء مغليّة، وإذا غسلتها بعناية. في الواقع، قد ينعكس. فإن كانت هذه المياه ملوثة بجراثيم الكوليرا فهي تساهم في تفشي المرض».

قال علي: «لكن المدير أخبرنا أننا لسنا في خطرٍ هنا».

صمتت والدة علي، نظرت إليه، واحتضنتهُ بين ذراعيها. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، تلقّت اتصالاً هاتفياً في مكتبها ليعلموها أنه تمّ تشخيص حالات كوليرا في بلدةٍ لا تبعد من بلدتها أكثر من خمسين كيلومتراً.

الفصل الثاني - الشائعات

مضى أسبوعان على درس الكوليرا، فنسي الأطفال أمر هذا المرض. انتقل المدير إلى فصلٍ آخر من فصول المنهاج: انه درس الهيكل العظمي. كان المدير يحبّ هذا الدرس، ويكتب أسماء العظام الصعبة على اللوح، فينقلها التلاميذ. لكن عندما سأل عن اسمي العظمتين اللتين تحت الركبة، ما تذكرهما أحدٌ، حتى عبدو. في الخارج، كانت الشمس حادةً والتراب أحمر وجاف أحياناً، تظهر الغيوم بعد الظهر ويومضُ البرق في الأفق، لكن المطر يتأخر في الهطول. في العام الماضي، تأخر المطر كثيراً وكان قليلاً.

كان والد عادل غاضباً. فالماء مقطوع منذ يومين. في هذه الموسم من كل سنة، يشحّ الماء دائماً، وتضطر مديرية الماء إلى تقنينه، أي إلى تأمينه ساعتين صباحاً وساعتين مساءً. حمل العاملون في الفندق دلاء الماء إلى الغرف ليستعملها النزلاء. والماء الباقي قليلٌ بعد أن فرغت الخزانات ولم يبق سوى نصف الخزان الأخير الذي تُرك لخدمةِ الضيوف. واضطر هؤلاء العمال إلى تحصيل مائهم والماء الضروري للمطبخ من البئر. كما أن طاهيين غائبان منذ ثلاثة أيام.

أصيب الكثير من العمال بالإسهال، فقدمت لهم والدة عادل أقراصاً من زجاجةٍ كبيرةٍ. لكن يبدو أنها لم تفدهم كثيراً.

جلس والد عادل يفكر: «ماذا سيحصل يا ترى إن بقي الوضع هكذا في الشهر المقبل؟» سكب مزيداً من العصير في كأسه ثم وضع يده على رأسه. فالشهر القادم هو الأهم في حياته. إن رئيس الجمهورية آتٍ لزيارة المنطقة، وهو رئيس اللجنة التي نظمت هذه الزيارة. وكان تقرر أن يحضر الرئيس حفلةً تقام له في الفندق.

في اليوم نفسه، زارت والدةُ علي المستشفى. لقد اعتادت أن تزور المستشفى كل نهار اثنين، لكن في هذا اليوم، كانت قلقةً جداً. فالإذاعة أعلنت عن حالات وفاة بسبب الكوليرا في جنوب البلاد، وأخبرها أصدقاؤها أنهم أقاموا مستشفى ميدانياً في منطقةٍ واحدة على الأقل لعلاج المرض. وهنا، ازدادت حالات الإسهال. عادةً، يحصل ذلك في هذا الموسم كل عام، لكن الحالات ازدادت كثيراً هذا العام. فهل بعضها ناتجٌ من الكوليرا؟ تعرف والدة علي أنّ الكوليرا يصيب الضعفاء اولاً، كالأطفال والعجائز. يصابُ به الأطفال الذي يرضعون حليب أمهاتهم، بينما يكون للأطفال الأكبر سناً وللبالغين القوة الكافية لمقاومته.

قال لها الطبيب أحمد: «لست متأكداً بعد إن كنتِ محقة يا اختي، لكني قلقٌ. لقد لاحظتُ أيضاً ارتفاع عدد حالات الإصابة بالإسهال. سوف أرسل العينات إلى المختبر، وأطلب المزيد من محاقن الأوردة والأمصال. يجب أن نكون مستعدّين».

لنشرح قليلاً عن الأمصال، فسوف تقرؤون الكثير عنها في القصّة. عندما يصاب الناس بالإسهال الحاد، تخسر أجسادهم الكثير من الماء والملح وتصاب بالجفاف. وعندما يكون الجفاف حاداً، يموت هؤلاء الناس كما تذبل النباتات وتيبس وتجفف حرارة الشمس ماء الأرض. ولهذا السبب يعلّم لأستاذ غازي كلّ أعضاء النادي الصحيّ طريقة تحضير شراب خاص مضاد للجفاف من الماء والسكر والملح، ليساعدوا عائلاتهم على تحضيره وتقديمه للأطفال في المنازل عندما يصابون بالإسهال. فهذا الشراب يقي الأطفال من الجفاف.

لكن، في بعض الأحيان، حين يصاب أحدهم بإسهال حاد أو بداء الكوليرا، يكون الجفاف سريعاً وعنيفاً، ويعجز هذا الشراب عن تعويض الجسم سريعاً عما خسره من ماء وملح، فيلجأ الأطباء إلى غرز حقنةً في ساعده، ويصلون الحقنة بكيس بلاستيكي فيه ماء وملح، يقطر قطرةً بعد أخرى في وريد المريض. هذا المصل ينقذ المرض المصابين بالجفاف الحادّ. ثمة طريقة أخرى لإمداد المريض بهذا المصل وذلك عبر أنبوب يدسُّ في انف المريض ويصل إلى معدته.

قالت والدة علي للطبيب: «نعم علينا أن نتحضّر ونستعد. عليّ ان أتأكد من أن مساعدي العاملين الصحيين يعرفون كيف يقدمون المساعدة إنْ تفشى الوباء».

نظر إليها الطبيبُ أحمد مبتسماً، فقد عرف أنها تقصد الأطفال بكلامها هذا. وكان الطبيب أحمد معجباً بوالدةِ علي وبعملها وبأسلوب تربيتها لابنها بعد أن هجرها زوجها.

صاحت والدة مريم بصوتٍ عالٍ: «مريم هل قدمتِ رضاعة الحليب لطفلي؟»

في الدكان، يبيع البائعُ علباً معدنية فيها حليب مجففٌ، ورضاعات بلاستيكية وزجاجية لإرضاع الصغار. على هذه العلب رسومٌ لأطفال سمانٍ معافين. في البداية، تردد والد مريم في بيع علب الحليب المجفف في دكانه، فلم يكن يعرف إن كان الناس سيشترونها.

لكن البائع الجوال أقنعه قائلاً: «انظر يا صديقي. إن اشتريت صندوقاً، أعطيك صندوقاً ثانياً مجاناً.

فزوجتك قد ولدت طفلاً جديداً، وتستطيع إرضاعه من هذا الحليب. أعرف أنها تتعبُ كثيراً في العمل في الدكان. حين لا يتوفر لها الوقت اللازم لإطعام الطفل يمكن الفتاة العاملة لديكم إرضاعه. ما اسمها؟»

أجابه والد مريم: «اسمها أمينة».

وهكذا، أرضعت أمينة الطفل من القنّينة. اخبروها أن عليها المحافظة على نظافة الرضّاعة. حاولت ذلك في البداية، لكن عملها كان كثيراً. وأحياناً، لم تكن تغلي الماء لتنظيف الرضاعة أو لحلّ الحليب المجفف. كان على مريم أن تساعدها، لكنها لم تكن ترضى بإرضاع أخيها.

الأستاذ غازي أخبر أعضاء النادي أن الأطفال الرضّع يحتاجون إلى حليب الأم الطبيعي، ولا يحتاجون إلى الحليب المجفف. لم يعلّمهم كيف ينظفون الرضاعات. أما مريم، فما أخبرت والديها بما قاله الأستاذ غازي خوفاً من غضبهما، ولذلك تركت أمر الاهتمام بالطفل لأمينة.

وحين أصيب الطفل بالإسهال، أعدّت له مريم شراب معالجة الجفاف. لكن الإسهال لازمه.

كانت النساء يملأن الدلاء من ماء البئر، ويتحدثن: «الإسهال ... إنه حادٌّ في هذا العام ... توفي طفلان في الشهر الماضي. وهذا الصباح، اشتد المرض على رجل مسنّ في السوق». أجابت إحداهن: «فظيع .. انه مصاب بإسهال حاد، وكأنه دلو مثقوب، يتسرب منه ماء ملوّن. وهو يزداد ضعفاً».

وكان عبدو يملأ دلوه من البئر، فقال لهن: «عليكن نقله إلى المستشفى». أجابت المرأة العجوز: «كيف لنا أن ننقله؟ ثم، هذا إسهال فقط، وقد أصابه من قبل». لكن عبدو ما انتظر ليسمع ما قالته، بل أسرع راكضاً ... راكضاً إلى منزل علي الذي يبعد من البئر كيلو متراً واحداً. عندما وصل، كان يلهث كثيراً، لكنه استطاع أن يخبر والدة علي ما سمعه من النساء قرب البئر.

قالت له: «نعم يا عبدو. لقد فعلت حسناً بمجيئك إليّ. جارنا لديه سيارة أجرة وسيساعدنا في نقل المريض إلى المستشفى».

وهذا ما حصل. فقد قاد الجار سيارته ناقلاً عبدو وعلي ووالدة علي إلى السوق أولاً، حيث نقلوا الرجل المسن وامرأتين عجوزين أيضاً إلى المستشفى. كان الرجلُ المريض ضعيفاً جداً.

كانت عيناه غائرتين، ورأى علي بياضهما ظاهراً. مددوه على بطانية في مؤخرة السيارة، وعندما وصلوا إلى المستشفى، كانت البطانية مبللة وتنبعث منها رائحةٌ كريهةٌ جداً. فأقفل عبدو أنفه بيده.

قالت أم علي لواحدةٍ من المرأتين العجوزين بصوتٍ حادٍ كالسيف: «سوف نحرق هذه البطانية. اذهبا أنتما واغسلا أيديكما بهذا الصابون. إذهب معها وتأكد من غسل الأيدي». وأعطتهما صابوناً وزجاجةً كُتبَ عليها: «مطهّر».

رأوها تكلم الطبيب أحمد الذي قال لها: «سوف أرسل عيناتٍ إلى المختبر، لكن الوضع غير مطمئن».

بعد ساعةٍ، في الطريق إلى المنزل، سأل علي أمّه: «ماذا سيحصل للرجل؟ هل سينقذه الطبيب أحمد»؟

نظرت إليه أمه نظرةً حزينةً، وقال له: «الطبيب أحمد طبيبٌ بارعٌ، لكنه لا يعيد الموتى إلى الحياة. فذاك الرجل المسنُّ مات قبل أن أغادر المستشفى».

الفصل الثالث - الكوليرا في البلدة

أتذكرون تلك البطانية المبللة؟ قبل أن يحرقها الطبيب أحمد، اقتطع منها قطعةً وحفظها في كيسٍ بلاستيكي. وهو ارتدى قفازين مطاطيين قبل أن يلمسَ البطانية. أرسل الكيس إلى المختبر. هناك، تفحّصت الموظفة ماء البطانية القذر عبر المجهر، فأدركت أنها مليئةٌ بجراثيم الكوليرا. اتصلت بالطبيب أحمد وقالت له: «أخشى أن أقول لك انك مُصيب .. الكوليرا متفشيةٌ في بلدتك».

انقضت ثلاثة أيام على موت الرجل المسنّ، واستقبل الطبيب أحمد خمسة مرضى جدداً مصابين بالكوليرا، آتين كلهم من المنطقة المجاورة لمنزل عبدو. أتت النساء إلى البئر يخبرن عن آخرين أصابهم المرض، فقال لهم عبدو: «عليكن نقلهم إلى المستشفى». وقال لعلي: «إني خائفٌ. فما أفعل؟»

أرشدته أم علي قائلةً: «عليك أن تغلي كلَّ ماء تستخدمه في المنزل ... لا يكفي غلي ماء الشرب، بل كل الماء. وعليك أن تطبخ طعامك جيداً. فالطبخ يقتل جراثيم الكوليرا. وتنبّه جيداً عندما تحضّر الطعام وتخزّنه. اغسل يديك جيداً بالماء والصابون قبل أن تلمس الطعام. لا تتناول الخضار غير المطبوخة، وأقْشرْ الفاكهة قبل تناولها. جَفف القِدَر والأطباق جيداً في الشمس

قبل أن تستخدمها ثانيةً. فجراثيم الكوليرا تحب الماء وهي تموت عندما تجف الماء تحت الشمس».

قال عبدو: «هذا كثيرٌ جداً».

فنظرت إليه أم علي: «وهل تريد أن تصير كالرجل المسنّ»؟

في ذلك اليوم، رافقت أم علي الطبيب أحمد لزيارة والدِ عادل في مكتبه وسط المدينة، وليس في الفندق. كان عليهما أن يدخلا من بابٍ كتب عليه «سكرتيرة». وكانت هذه السكرتيرة جالسةً خلف مكتبها تطلي أظافرها بالأحمر.

قال لها الطبيب أحمد: «أتينا لنرى المدير لأمرٍ ضروري».

فأجابته: «إنه مشغولٌ الآن، فأجلس وانتظر». وكان في مكتبها كراسٍ عديدةٌ لكن جلس عليها آخرون، فما بقي كرسيٌّ فارغ. أدرك الطبيب أحمد انهم ينتظرون منذ وقتٍ طويل.

بدأت السكرتيرة طلاء أظافر اليد الأخرى، فتساءلت والدة علي في قلبها: «هل ستبدأ طلاء أظافر أصابع قدميها»؟

في المكتب المجاور، علا صوت الضحك. انفتح الباب وخرج والد عادل ويدُه حول كتفي رجلٍ ضخمٍ مبتسمٍ. قال: «سوف أتصل بك بعد زيارة الرئيس».

وقف الرجل الجالس على الكرسي القريب من الباب، وتهيأ للدخول إلى المكتب المجاور. لم يعترض الطبيب أحمد طريقه، لكن أم علي دفعته جانباً وتوجهت إلى باب المكتب، وهي تصيح بأعلى صوت: «ثمة أمر طارئ. الكوليرا متفشية في البلدة. عليك إلغاء زيارة الرئيس». تولى الطبيب أحمد الكلام، وشرح ما أخبرته به السيدة العاملة في المختبر الطبي، وعرض الحالات الأخرى الموجودة في المستشفى، وقال «قد يكون هذا الأمر في غاية الخطورة. لكننا نستطيع منع انتشار الوباء إذا تصرفنا الآن، وفوراً».

الوباء هو المرض الذي يخرج عن كل سيطرة. وباء الكوليرا يبدأ محصوراً في مكانٍ واحدٍ. في مرحلته الأولى يمكن وقفه

(ص ١٩) لكنه، يتفشى سريعاً كما النار في العشب اليابس إن لم يكن هناك من يوقفه. وبعد ذلك، وخلال أسبوع أو أسبوعين، يخرج عن كل سيطرة، ويؤدي إلى وفاة الآلاف.

أخبر الطبيبُ أحمد والدَ عادل ما يجب فعله: «يجب أن نبحث سريعاً عن مصدر تفشي الكوليرا. ثم نستعين بالإذاعة لإعلام الجميع عن كيفية تمييز الكوليرا وطرق منعه من الانتشار. يجب أن ترسل العاملين الصحيين في أنحاء البلدة ليرشدوا السكان وأن نحضّر المستشفى لنتمكن من استقبال حالات كثيرة ومعالجتها».

استمع أبو عادل إليهما بلباقة، لكن أفكاره كانت في مكان آخر مختلف. فزيارة الرئيس ستحصل بعد أسبوعين فقط، وهذا ما كان يشغله.

فقال للطبيب أحمد: «هذه فرصتي الكبرى لأظهر روعة هذه المنطقة، ومقدرتي كمحامٍ وعضوٍ بلدي مكلّفٍ تنظيم الزيارة. إني منهمك في هذا التحضير منذ ٦ أشهر، استهلكت فيه كل مالي. فلن أسمح لهؤلاء الناس باعتراض طريقي ووصولي إلى ما أصبو إليه. أشكركما على عرض الأمر عليّ، ويمكنكما الاعتماد عليّ بكل تأكيد. لكننا لا نريد أن نزرع الخوف بين الناس الآن. ولا أعتقد أن الإعلان الإذاعي ضروريّ. فأرى أنك طبيبٌ يافعٌ». توقف لحظةً على الكلام، فتساءل الطبيبُ أحمد - وهو في الخامسة والثلاثين - ما قد يقوله هذا الرجل بعد. وتابع: «إني متأكد أنك ترحّب برأي طبيب آخر في أمر هذه الكوليرا. إن نسيبي، الأستاذ الدكتور عفيف، آتٍ لزيارتي قريباً. فهو يدّرس في المركز الطبي الجامعي، ويمكن له معاينة بعض مرضاك».

سألته أم علي: «ومتى يصل»؟

«قريباً جداً ... في اليوم التالي لزيارة الرئيس».

نظر كل من الطبيب أحمد وأم علي إلى الآخر. وقفا وتوجّها نحو الباب. بقي وأبو عادل خلف مكتبه صامتاً لبرهةٍ، ثم نادى مساعدته وقال لها: «قولي للناس أن يذهبوا إلى بيوتهم». لقد تسلّل الخوف إلى قلبه. لربما عليه أن يرسل عائلته بعيداً. إلى منزل شقيقة زوجته.

وصلت أمينة إلى البئر لتحصيل الماء. لقد كان يومها منهكاً. فمنذ الفجر، تهتم بإرضاع الطفل، وتنظف الدكان، وتساعد في ترتيب الخضار والفاكهة. ثم تأتي إلى البئر لتملأ الدلو ماءً لغسل الخضراوات وتحضير رضّاعةٍ أخرى للطفل. لا وقت للراحة أبداً، ولا يشكرها أحد. مريم في المدرسة، فلا أحد تكلّمه. فكّرت في نفسها: «لقد طفح الكيل».

في طريق عودتها، شرعت تفكّر وهي تحمل الدلو الثقيل: «لم يبقَ ماء مغليٌّ في المنزل. عليّ أن أجمع الحطب لأشعل النار حتى أغلي هذا الماء، وهذا يستغرق وقتاً. لكن، إنْ استخدمت ماء البئر لغسل الرضاعة وتحضير الحليب فلن يتطلب مني ذلك وقتاً طويلاً، فيسعني حينئذٍ أن أستمتع بدفء الشمس. ماء البئر نظيفٌ في كل حال».

وبعد يومين، كان موعد اجتماع أعضاء النادي الصحيّ. وحين اجتمع الأطفال، وجدوا أن الأستاذ غازي ليس وحده بل كانت والدةُ علي إلى جانبه، وعلامات الجد مرسومةٌ على وجهيهما.

قالت والدة علي: «اليوم، سأختار أنا موضوع اللقاء. سوف نتعلم طرق التصرّف حين يحلّ خطر الكوليرا».

فقالت مريم: «لكن المدير أخبرنا أن الكوليرا لن تصيب بلدتنا».

قال لها الأستاذ غازي: «هذا ما اعتقدناه جميعاً. لكننا أخطأنا. فهناك مرضى في المستشفى مصابون بالكوليرا» نظر علي إلى عبدو.

تابعت والدة علي الكلام: «يمكنكم، أنتم الاطفال، أن تفعلوا أموراً عديدة. في الأيام القليلة الآتية، ستعملون مع الأستاذ غازي، فتصنعون الدمى وتصممون الألعاب والملصقات لكي ترشدوا جيرانكم إلى ما يجب أن يفعلوه. سوف أتكلم إلى الطبيب أحمد، فأخوه يعمل في محطة الإذاعة. لربما يستعين بكم. أما الآن، فستتعلمون ما يجب أن تفعلوه في منازلكم. هل تتذكرون القواعد الذهبية الثلاث للنظافة»؟

لقد تذكرها الكلُّ ، فمريم صممت الملصق هذا:

القاعدة الأولى: اغسلوا اليدين بالصابون بعد الذهاب إلى المرحاض وقبل لمس الطعام.

القاعدة الثانية: حافظوا على نظافة المراحيض دائماً. تأكدوا من حسن دفن براز الأطفال، لأنه مليئ بالجراثيم.

القاعدة الثالثة: اشربوا ماءً من الإبريق المغطّى، ولا تضعوا أيديكم في مياه الشرب.

وتابعت والدة علي: «الآن، عليكم حفظ أربع قواعد إضافية. لقد ذكرتها لعبدو، يا ترى، هل ما يزال يتذكّرها». لقد تذكّرها. وكيف له أن ينساها؟ ففي كل مرةٍ

يذهب إلى فراشه. لينام، يتذكر عيني الرجل المسنّ الغائرتين ... وكلمات والدة علي. ومن غير أن يتكلّم، قام إلى اللوح الأسود وكتب:

نغلي كل ماء تستخدمه.

نطبخ كل طعام طبخاً جيداً.

تجنب تناول الخضار النيئة.

نقشّر قشرة الفاكهة.

نجفّف أدوات الطبخ والطعام تحت الشمس.

سأل عادل: «لكن، الأستاذ غازي، ماذا نفعل إن أصيب أحد أفراد عائلتنا بالكوليرا؟ قال المدير أنه لا يجود علاج منزلي .. بل الدواء في المستشفى فقط».

أجابته أم علي: «حتى في المستشفى، لا ينقذُ الدواءُ المريض في بعض الأحيان،

فجراثيم الكوليرا لا تقتل الإنسان بل الجفاف هو الذي يقتله. هناك دواء واحد يقصّر مدّة الإسهال، لكن مكافحة الجفاف بحقن المصل أو من طريق الأنبوب الذي يوضع في الأنف، هي ما ينقذ حياة المرضى».

فسألها عبدو: «فلماذا مات الرجل المسنّ إذاً. ففي المستشفى مصلٌ كثيرٌ. كان الرجل المسنّ حياً حين أوصلناه إليها».

أجابته: «لقد جفّ تماماً، وما استطاع المصل أن ينقذه.»

تدخل الاستاذ غازي قائلاً: «هنا يأتي دوركم أنتم. حين يصاب أحد أفراد عائلتكم بالكوليرا، انقلوه فوراً إلى المستشفى .. واعطوه شراباً مضاداً للجفاف أثناء نقله، فلا يصاب بالجفاف. وقد ينجو من الموت عندما يتلقى المصل في المستشفى. والشراب المضاد للجفاف مؤلفٌ من ملحٍ وسكر وماء. تمزجون أربع ملاعق صغيرة من السكر ونصف ملعقةٍ صغيرة من الملح في ليترٍ واحد من الماء المعقّم. ولقياس كمية الماء، يمكنكم استخدام قنينة ماء سعة ليتر أو ليتر ونصف، فالسعة مطبوعة على القنينة دوماً».

أضافت أم علي إلى ما قاله الأستاذ غازي: «تذكروا أيضاً: عندما تساعدون مريضاً مصاباً بالكوليرا أن عليكم غسل أيديكم بالصابون وبالمطهّر ونقع كل أغطية الأسرّة في الماء والمطهّر قبل غسلها. والآن، اذهبوا إلى بيوتكم. آمل أن لا تضطروا إلى

تنفيذ هذه الإرشادات. آمل أن لا ينتشر وباء الكوليرا».

لكن آمالها ذهبت أدراج الرياح.

ما أن وصلت مريم إلى المنزل حتى أدركت أن مصيبة حصلت.

فقد انبعثت رائحةٌ كريهةٌ من سرير الطفل،وأسرعت أمينة إليها تصرخ: «أرجوك يا مريم، ساعديني. فأخوك مريضٌ جداً، فهو يضعف، ولا يبكي. إسهالُهُ شديد، ولا أحد في الدكان ... لا أحد هنا لمساعدتي».

فكرت مريم فيما يجب أن تفعله: «هل أحاول إعطاءه شراب مكافحة الجفاف؟ كلا، فسوف يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى يشرب المحلول بالملعقة. المستشفى ليست بعيدة، وسوف أركض إليها ركضاً».

صاحت مريم بأمينة: «اغسلي يديك بالصابون، ولا تلمسي سرير الطفل»، وأمسكت غطاء السرير وحملت فيه أخيها مسرعةً إلى المستشفى.

كان الطبيب أحمد يحقن مريضاً بالمصل عندما دخلت وصاحت: «لقد حاولوا منعي من الوصول اليك، لكني أظن أن أخي مصاب بالكوليرا. وقد قالت لنا أم علي أن ننقل الأطفال المصابين بالكوليرا فوراً إلى المستشفى، حتى نسعفهم. فأرجوك أن تنقذ أخي الصغير». كانت مريم تلهث ويخرج منها الكلام بصعوبة. أخذت تبكي. نظر الطبيبُ إلى الطفل وصاح: «أيتها الممرضة، خذي الطفل إلى جناح الأطفال، وضعي له مصلاً فوراً». ثم استدار نحو مريم وقال: «حسناً فعلتِ. سوف أحاول جاهداً لإنقاذه. لكن ألا يرضع رضاعة طبيعية؟»

خفضت مريم رأسها وأخبرته عن الحليب المجفف والرضاعات وعن أمينة المسكينة. بدا الغضب على وجه الطبيب أحمد، لكنه لم يقل شيئاً.

عندما عاد عادل من اجتماع النادي الصحي، وجد والدته توضب ثيابها في حقيبةٍ كبيرةٍ. قالت له: «قال أبوك أن علينا الذهاب إلى بيت أختي في القرية، لنمضي هناك بضعة أيام».

فقال: «وماذا عن دروسي ومدرستي؟ وكيف أترك النادي الصحي. علينا أن نساعد. أخبرنا الأستاذ غازي أننا نستطيع تقديم المساعدة لمنع تفشي الكوليرا».

فصاحت به: «إياك أن تجادل أباك. فأنت صغيرٌ بعد على هذا الأمر. لا بدّ أنها تلك المرأة الغبية، أم علي التي تضع الأفكار السيئة في رؤوسكم. عاملون صحيون صغار! لم أسمع بهذا من قبل، كما قال أبوك أن الكوليرا ليست متفشية في هذه البلدة».

«ولماذا يرسلنا بعيداً إذاً؟»

وجهت له أمّه ضربةً على رأسه لكنه تهرب منها. لم تجبه بل أعطته حقيبة وقال: «خذ هذه، وضع فيها هذه الفاكهة. إنها طازجة ونظيفة. لقد غسلوها الآن. الماء مقطوع فأتوا بالماء من البئر. خذ هذه المانغا».

فقال لها: «شكراً يا أمي، هل لي بموزة؟ أرجوك، يا أمي، قالوا لنا أن نزيل قشر الفاكهة قبل تناولها».

أبدت والدته دهشتها من هذا الكلام: «نقشّر المانغا؟ أهذا ما يعلموك في المدرسة؟ وماذا سيقولون بعد؟ لا تأكل المانغا إذن. لكن سأفعل أنا. والآن، أسرع، فسيارة الإجرة بانتظارنا».

الفصل الرابع - هل نستطيع وقف انتشار المرض؟

بعد يومين، شعرت أم عادل بوعكة صحيّة، فقد أتاها ألم البطن الحاد ليلاً، واضطرت للذهاب إلى المرحاض كل ساعة. لم يكن هناك ماءٌ جارٍ في منزل أختها، ولذلك كانت تضطر للخروج من البيت إلى المرحاض. وفي المرة الثالثة، لم تستطع الوصول سريعاً، فتوقفت على الطريق لتتبرّز. أعطوها شاياً وأقراصاً من قارورة كبيرة حملتها معها في الحقيبة، لكن الألم لم يتوقف. عندما حلّ الصباح، كان برازها سائلاً جداً، وابتدأت تضعف شيئاً فشيئاً.

صاح بها عادل: «اسمعي يا أمي! اسمعوا جميعكم! اعتقد أن والدتي مصابةٌ بالكوليرا. أين أقرب مستشفى؟»

أجاب أحدهم: «هناك مستوصفٌ في القرية المجاورة. نستطيع نقلها إلى هناك».

- «هل تعرفون أحداً يملك سيارة؟»

- «علينا أن ننتظر وصول خالك!»

- «ومتى يعود خالي؟»

- «في المساء».

- «لكن أمي قد تموت قبل حلول المساء ... » كان عادل يتكلم باكياً.

وأخيراً، وافقت العائلة على البحث عن رجلٍ يملك سيارة.

قال عادل: «من فضلكم، أريد بعض الماء والملح والسكر».
وهكذا، حضّر عادل شراباً مضاداً للجفاف كي تشربه والدته، وجلس إلى جانبها يقدم لها المحلول ملعقة بعد أخرى في انتظار وصول السيارة.

جلس عادل إلى جانب أمّه في السيارة وتابع تقديم المحلول إليها. لم تكن قد أصيبت بالجفاف التام حين وصلت إلى المستوصف، حيث ثبتوا لها حقنة مصلٍ في ساعدها. وبعد خمسة أيام، زال عنها الخطر. لن تقول لعادل بعد الآن أن النادي الصحي مضيعةٌ للوقت.

في البلدة، كان عبدو يكلم علي ووالدته: «كنتُ أفكر .. من أين أتى الرجل المسنّ يا ترى؟ وأين يعيش الآخرون الذي التقطوا جرثومة الكوليرا؟ يعيشون كلهم في المنطقة المحيطة بالبئر. ومن أين حصلت أمينة على الماء الذي سقته للطفل؟

من البئر نفسها لربما يأتي هذا المرض من البئر. إقفالها أفضل من بقائها مفتوحة».

ضحكت أم علي وقالت لعبدو: «تفكيرٌ سليم يا عبدو، لكننا سبقناك. فالطبيب أحمد أرسل عينة من ماء البئر إلى مختبر التحليل، وحصلنا على النتائج صباح اليوم. أنت محقٌ تماماً، فماء البئر ملوثة. لقد حفر أحدهم حفرةً صحية قريبة من البئر. وأحد أفراد عائلته مصاب بالكوليرا، أتى مريضاً من السفر. فتسللت جراثيم الكوليرا إلى البئر. سنقفلها اليوم، ونمدّ الناس بماء نظيف. وهكذا، قد نوفّق إلى وقف انتشار المرض».

قال الطبيب أحمد لوالدة علي: «لا أعرف إن كنت سأستطيع وقف المرض ومنعه من الانتشار». لقد مضى يومان على الأمر وهما الآن واقفان في المستشفى. أضاف: «لدي أكثر من خمسين إصابة بالكوليرا، والمصل ينقصني. ما يُطمئن حتى الآن انهم من منطقةٍ محصورةٍ في البلدة. أملنا الوحيد أن نزور والد عادل، لعلنا استطعنا أن نغيّر رأيه».

هذه المرّة، لم تحاول مساعدة والد عادل إيقافهما، فوجداه جالساً خلف مكتبه وقد بدا عليه التعب والتقدم في السنّ. لقد وصل لتوّه من المستوصف حيث تتلقى زوجته المريضة العلاج. وأخذ يتمتم متأوهاً: «لكني أبعدتها من القرية. لقد كانت معافاة عندما أرسلتها بعيداً. لا بدّ أن الكوليرا متفشٍ هناك أيضاً».

فأجابه الطبيب أحمد موضحاً الأمر: «هذا ليس صحيحاً، فالأرجح أنها أصيبت بالعدوى هنا قبل مغادرتها. فالمرض يظهر على الإنسان بعد مضي يومين أو ثلاثة أيام على دخول الجراثيم إلى جسمه».

سألته أم علي: «هل استخدمتم ماء البئر القريبة من الفندق؟»

أجاب: «لا نشرب أبداً من تلك البئر، لكننا نستعمل ماءها أحياناً لغسل الفاكهة والخضار».

تبادل كلٌّ من الطبيب وأم علي النظرات. رأى أبو عادل تلك النظرة وفهم معناها، فقال لهما: «لقد أخطأت في عدم مساعدتكما من قبل، لكن منذ الآن وصاعداً، إني أدعمكم مائة في المائة .. كلا، بل مائة وخمسين في المائة». ضرب الطاولة بقبضة يده السمينة وصاح: «سميرة، اتصلي بأعضاء اللجنة فرداً فرداً. علينا تأجيل زيارة الرئيس. علينا إنشاء فريق عمل لمكافحة الكوليرا. وسأكون ... لا، سيكون الطبيب أحمد رئيسها».

في الأسبوعين التاليين ارتفع عدد حالات الإصابة من ٥٠ إلى ٦٠، ومن ٦٠ إلى ٨٠، ومن ٨٠ إلى ١٠٠. عمل الطبيب وممرضاته ليل نهار في المستشفى، يثبتون حقن المصل في سواعد المرضى، ويعالجونهم، ويشجعونهم على تناول الطعام حين تتحسّن حالهم. مهم جداً أن تتناولوا الطعام أثناء شفائكم من المرض وبعده .. فهذا الطعام يقويكم لتتحسن حالكم.

نجا معظم المرضى، لكن بعضهم مات، وخصوصاً كبارُ السن منهم وضعفاء الجسم. وبعضهم وصل المستشفى بعد فوات الأوان. أقرباء المتوفين كانوا يشتمون الطبيب والممرضات: «لماذا لم تعالجوا أختنا؟ لماذا لم تقدموا لمريضنا العلاج الناجع؟ لماذا لم تحقنوه بالحقن؟» كان الطبيب أحمد ينظر إليهم ويهز رأسه. فقد أنهكه التعب فلم يستطيع أن يغضب.

لم يبقَ سريرٌ واحدٌ في المستشفى فارغ، فأمر المجلس البلدي بإقفال المدرسة وتحويلها إلى مستشفى مؤقت.

لم يستعمل الطبيب أحمد حقن المصل فقط، إذ لم تكن كافيةً لعلاج كل هؤلاء المرض، فعلّم الممرضات كيف يدخلن الأنبوب المطاطي عبر أنف المريض وحلقه إلى معدته، فهذه طريقة أخرى لإمداد الجسم بالماء والملح.

وصل عدد الإصابات بالكوليرا إلى المائة، لكنه لم يتجاوز هذا الرقم.

كانت والدة علي تعمل من غير توقف، كما الطبيب أحمد. كانت تنتقل في سيارة الأجرة التي يملكها أحد الأصدقاء، إلى كل محلّة من محلاّت البلدة، تدعو الناس إلى الاجتماع في المدارس والكنائس والجوامع وتخبرهم كيف يستطيعون تجنب الكوليرا، وكيف يتصرّفون إذا ما أصيب أحد أفراد العائلة بالإسهال الحادّ.

اتصل عضو المجلس البلدي بعاصمة المحافظة، فأرسل المسؤولون هناك فريقاً من الخبراء للكشف على مياه كل الآبار وتحليلها.

كانت ثمة بئر وحيدة ملوثة. أضاف هؤلاء الخبراء مواد كيميائية إلى خزانات مياه البلدة، فساء طعمها لكنها أمست أكثر أماناً.

لعب العاملون الصحيّون الصغار دوراً مهماً، قالت لهم والدة علي: «انتم خط الدفاع الأول» فقاموا بتصميم الملصقات ورسموها، وساعدتهم مريم في ذلك. كما ألفوا النصوص المسرحية، وألّف عبدو وأغنيةً بلغة الأطفال:

سنغلي الماء، وبالحرارة سنقتلك.
يا مَرَض الكوليرا، يويو
بْنقتل جراثيمك، يويو
بمَيّة مغليّة، يويو
تنشف وتموت، يويو
راحت عليك، يويو
مريض الكوليرا، يويو
منسقيه الميّة، يويو
ما عدنا نشوفك، يويو
روح عنا بعيد،، يويو
مراحيضنا نظيفة، يويو
بْصابون وليفة، يويو

غنى عبدو ورفاقه هذه الأغنية في الإذاعة، كما غناها معهم مطرب مشهورٌ، فانتشرت وأصبحت على كل لسان. وأخبر الصغار الجميع كيف يحضّرون شراباً مقاوماً للجفاف من الماء والملح والسكر، وكيف يقدمونه للمريض كي لا يصاب بالجفاف قبل وصوله إلى المستشفى وبعد عودته منها. (اضطر الطبيب أحمد إلى إرسال المرضى إلى بيوتهم برغم ضعفهم. كان بحاجة إلى الأسرّة وأكياس المصل لعلاج مرضى آخرين). تعب العاملون الصغار بقدر ما تعب الطبيب، ولهذا قال لأم علي: «إني فخورٌ جداً بهم».

الفصل الخامس - ماذا تعلمنا؟

مضت ستة أسابيع على نقل الرجل المسنّ إلى المستشفى. حلّ الشتاء، وتوفّر الماء في البلدة، فما انقطع عن الفندق. فتحت المدرسة أبوابها من جديد، وتراجع عدد حالات الاصابة بالكوليرا أسبوعاً بعد آخر. أنهى العاملون الصحيّون الصغار اجتماعهم ووقفوا إلى جانب الأستاذ غازي الذي سألهم: «ماذا تعلمنا خلال الشهرين السابقين؟»

أجابه عبدو: «تعلمنا أننا نقدر على إحداث تغيير حقيقي. في الأسبوع الماضي، حصل لي أمرٌ رائعٌ. ساعدتُ جاراً لنا في نقل والدته إلى المستشفى. أسرعت إلى سيارة الأجرة، وحضّرت لها شراباً مضاداً للجفاف. أتعرفون ماذا قال لي أفراد عائلتها بعد خروجها من المستشفى. قالوا لي شكراً يا عبدو، لقد أنقذت حياتها ... أنا، عبدو، أنقذت حياة مريض!» وابتسم ابتسامةً عريضةً.

أما مريم، فقالت: «لقد حدثني المدير من غير أن يصيح بوجهي. لقد كان لطيفاً جداً ... قال انه مسرورٌ لأننا تلقينا الإرشاد الصحي ولم ندرس فقط للامتحان. أوّل مرة أراه مهتماً.»

وقال عادل: «أبي وأمي معجبان الآن بالنادي الصحي. حتى أن أبي قال أنه سيشتري لنا عدة الإسعاف الأولي. آمل أن لا ينسى ذلك. إنه مسرورٌ جداً من الرسالة التي تلقاها من الرئيس اذ يبدو ان الرئيس سعيد بالمساعدة التي قدمها أبي لوقف انتشار وباء الكوليرا».

وتقدم علي قائلاً: «لقد تعلمتُ أمراً إضافياً عن والدتي. إني أحبها كثيراً لكني ما كنت أدرك أهمية عملها من قبل. ما عرفت أبداً كم يحترمها الناس ويستمعون لنصائحها. إنها بطلةٌ حقاً».

قالت والدة علي للطبيب أحمد: «ابني يقول أنني بطلة. لكنني امرأةٌ غبية. كان عليّ أن انشر هذه الإرشادات في وقتٍ سابقٍ.

لماذا لم أفكّر بالبئر عندما مات الرجل المسنّ؟ كلا، لست بطلة».
فأجابها الطبيب أحمد مبتسماً: «صحيح! لا أحد يقول عن نفسه بطلاً. أنت بطلة في عيون الناس. والليلة ليلة احتفال بك وبأبطال النادي الصحّي».

أنشطة

١- تخيّلوا أنكم عاملون صحيّون تكتبون الإرشادات لمن لا يعرف القراءة جيداً:
اكتبوا وارسموا نشرةً عن الكوليرا في صفحتين، على أن تحتوي على كل المعلومات الأساسية بلغة مبسطة. نقترح أن تقسموا هذه النشرة الى ٣ أقسام:
-معلومات عن الكوليرا
-الوقاية من الكوليرا
-مكافحة الكوليرا عند حصولها
هذه مهمة صعبة ولهذا يمكن للأطفال أن ينقسموا الى فرقٍ فيكون العمل جماعياً. وفي النهاية، تتم المقارنة بين النشرات الثلاث.
٢- حَولوا الحكاية إلى مسرحية وأدوها. ستكون عملاً مسرحياً طويلاً يحتاج إلى تحضير خاص: عليكم تغيير تفاصيلها حتى تناسب الوضع عندكم.

٣- انطلاقاً من الحكاية، ارسموا خريطة البلدة وضعوا عليها أسماء المواقع، كالفندق والبئر والمستشفى والمدرسة وبيوت الأطفال وغيرها. حاولوا أن يكون للخريطة مقياس بالأمتار. (هذا تمرين مفيد لدروس الجغرافيا واللغة).

٤- إن كنتم لا تعرفون كيف يحضر محلول مكافحة الجفاف، بادروا إلى تحضيره بالماء والسكر والملح (راجعوا الصفحة ٢٤)، ثم تذوقوا طعمه. يجب أن لا يكون مالحاً أكثر من الدموع.

٥- صمموا نموذجاً لإظهار مرحاض مبني بجانب بئر ماء الشفة، وكيف يؤدي ذلك إلى تلوث مياه البئر.

٦- لحنّوا أغنية عبدو. هل يمكنكم تصميم رقصة ملائمة لها؟ هل تستطيعون تأليف أغنية أفضل عن الوقاية من الكوليرا والإسهال؟

تذكروا

قواعد مريم الذهبية الثلاث عن النظافة البيتية:

١- غسل اليدين بالصابون بعد دخول المرحاض وقبل لمس الطعام.

٢- المحافظة على نظافة المراحيض واقفالها. التأكد من دفن براز الأطفال في الأرض، فهي مليئة بالجراثيم.

٣- الشرب من ابريق الماء المغطى. عدم وضع الدين في ماء الشرب.

الإمداد المائي الآمن: التأكد من حماية الإمداد المائي العام من التلوث.

وقاية إضافية حين يهدد الكوليرا:

١- غلي كل الماء.

٢- طهو كل الطعام جيداً.

٣- تجنب تناول الخضار البيئة وقشر الفاكهة.

٤- تجفيف عدة الطهو والطعام تحت الشمس.

إن شككتم بإصابة أحدهم بالكوليرا:

١- انقلوه سريعاً إلى المركز الصحي، فقد لا تنقذه الأدوية المنزلية.

٢- قدموا له محلول مكافحة الجفاف فوراً واستمروا في ذلك حتى وصوله إلى المركز الصحي.

٣- احموا أنفسكم وعائلاتكم من التلوث. احرقوا أو عقموا كل ما تلوث. اغسلوا أيديكم جيداً... واستخدموا المعقم إن كان ذلك ممكناً.